قصّة هود

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

بعث الله هود نبيًا لهداية قومه «عاد»، الذين ضلُّوا طريق العبادة، واتَّخذوا عبادة الأصنام من دون عبادة الله، وهم أوَّل من اتَّخذ عبادة الأصنام من بعد طوفان نوح.

وعاد لقِّبوا بهذا الاسم نسبة إلى جدِّهم عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح.

وعاد قسمان:

- عاد الأولى: وهم قوم هود، ويُسَمَّوْنَ أيضاً عاد إرم نسبة إلى جدِّهم إرم بن سام بن نوح.

- عاد الثانية: وهم المؤمنون من عاد الأولى ولكنهم ضلُّوا فيما بعد وأهلكهم الله. قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ [النجم: 50-51].

وسكن قوم عاد في منطقة تسمى: «الأحقاف»[1] جهة اليمن، وموقعها إلى الشمال الشرقي من حضرموت شرقي عدن، جنوب الربع الخالي من أرض السعودية و«عُمَان»، وموضع بلادهم اليوم رمال بعد أن

(1) الأحقاف: جمع حقف. وهو ما اعوجّ واستطال من الرمل العظيم.

أبادهم الله. وهناك سورة في القرآن الكريم تحمل اسم هذا الموضع ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

وتبدأ قصَّتهم بعد الطوفان، حيث انتشر المؤمنون من ذريَّة نوح في الأرض. فسكن قوم عاد في تلك المنطقة وخصّهم الله بزيادة في الطول على غيرهم من أقرانهم وزادهم قوة في أجسامهم. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ [الأعراف: 69].

فَبَنَوْا القصور الشامخة الضخمة في طول البلاد وعرضها، في أرضهم الخصبة وزرعوا البساتين النضرة، وأقاموا القلاع والحصون، وبَنَوْا خزانات للمياه بقرب مبانيهم الضخمة وكان من عادتهم أن يبالغوا في ضخامة مبانيهم كأنهم مخلَّدون، ولم تكن تلك المباني كلُّها لاحتياجهم لها؛ بل لإظهار ما لديهم من ثراء.

واغترُّوا بما عندهم من النعيم وانغمسوا في البذخ والرخاء والترف. وذكر القرآن الكريم بإيجاز بليغ تلك الحضارة ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ[1] لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: 128-129].

ومن كثرة ما بَنَوْا من مبانٍ ضخمة وفخمة كانت حضارتهم أهم حضارة في عصرهم، ولكنَّها لم تُغْنِهِمْ عن الله شيئاً فأبادهم الله. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6-8].

بعد هذا الترف الذي حصل عليه قوم عاد اغترُّوا بأنفسهم وبدأوا

(1) المصانع: البروج المشيدة، وقيل: أماكن الماء.

يتعالون على سائر الناس، وإذا أرادوا الانتقام من أحد، تجبَّروا عليه وبطشوا به بطش الجبارين، فأذلَّ القويُّ الضعيف، واستبد الغنيُّ بالفقير والمعافى بالمريض ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130].

وبدلاً من أن يشكروا الله خالقهم على ما أمدَّهم به من قوة ونعمة، اتَّخذوا عبادة الأصنام، وعكفوا عليها يعبدونها ويشكرونها من دون الله ويقدِّمون لها القرابين[1].

ومن أشهر أصنامهم صنم يقال له: صدى، وآخر يقال له: هرد، وثالث يقال: له هبا، ورابع يقال له: الهتَّار إلخ.

وبعد كل ما فعلوه، ومن رحمة الله بهؤلاء القوم، وحتى لا يكون لهم حجة على الله، أرسل إليهم هود نبيًّا لهدايتهم أجمعين فقيرهم وغنيِّهم، قويِّهم وضعيفهم، وتهذيباً لنفوسهم، فكان بعثه فيهم لكشف الجهل الذي انتشر وفشا فيهم، لعلهم يرجعون عن غيِّهم من الاستعلاء في الأرض بغير الحقِّ، ولعلَّهم يرجعون إلى طريق الله ﷻ.

ونبيُّ الله هود كان من أوسطهم نسباً، وأشرفهم حسباً، فهو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد. أرسله الله من بينهم، يحدِّثهم بلغتهم، ويرشدهم إلى طريق الحقِّ ﷻ لتوحيده ونبذ عبادة الأصنام ولتهذيب نفوسهم التي سيطر عليها البطش والتعالي والظلم لسائر الناس الذين عاصروهم.

الحوار مع القوم:

وامتاز نبيُّ الله هود بالصدق والأمانة وسائر الفضائل في قومه. ومما

---

(1) القرابين: الذبائح.

اتَّصف به: الحلم والصفح ولين الجانب، واتَّصف بشدة إيمانه وحبِّه لله ﷻ. متوكِّلاً عليه في كافَّة أموره، وكان صبوراً على أذى الآخرين. حسن الحوار مع أخصامه، قويَّ الحجَّة بينهم. وفي القرآن الكريم سورة تحمل اسم هذا النبيِّ وهي سورة «هود».

وحينما طغى قوم عاد أوحى الله إلى هود أن يصحح لقومه مسار العبادة، وأن ينبذوا عبادة الأصنام، ويعودوا إلى رشدهم بتوحيد خالقهم ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65].

وذكَّر هود قومه بنعم الله عليهم أنه زادهم في الخَلْقِ بسطة على سائر الناس، ومنحهم قوَّةً في أجسامهم وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، يعمرون الأرض ويعبدون خالقهم ويشكرونه على ما أمدَّهم به من نعم. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

وذكَّرهم هود بما توصلوا إليه من الحضارة والترف والبذخ من إقامتهم للأبنية الضخمة، وبنائهم خزانات المياه الهائلة، وأنهم أمّنوا كل شيء لحياتهم وكأنهم مخلَّدون في هذه الأرض. وبدلاً من حمد الله على نعمه بطشوا بالناس وتجبَّروا عليهم. وأضاف هود القول لقومه: يا قوم، أطيعوني وعودوا إلى خالقكم واتَّقوه وتوبوا إليه، فهو الذي سخَّر لكم الأرض لتعمروها، وهو الذي جعل لكم أسباب الحياة وأمدَّكم بالأولاد وسخَّر لكم الحيوانات لتنتفعوا من ألبانها وتأكلوا لحومها وتأخذوا من أوبارها الصوف لتقيكم البرد ومنها تصنعون أثاثاً لبيوتكم، وهو الذي جعل لكم الماء عيوناً لتشربوا ولتخزنوا منه ما تريدون وهو الذي أسقى لكم الزرع فأنشأتم البساتين والحقول. ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: 128-135].

فهؤلاء القوم العمالقة اغترُّوا بقوَّتهم وحضارتهم وتجاهلوا ما قال لهم نبيُّهم. واغترُّوا بما يفعلون. فهم في قرارة أنفسهم لا يتَّخذون قراراً خطأ فكيف يسمعون لهود؟!

وكانوا يسخرون من نصائحه لهم ويردُّون عليه بأنهم أقوى الناس في الأرض بعد هذه الحضارة التي أقاموها، وقد نسي هؤلاء أن الله الذي خلقهم أشد منهم قوة وأنه يستطيع إبادتهم متى شاء. ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15].

ولم يقتصر الحوار بين نبيِّ الله هود وبين قومه عند هذا الحد؛ بل إنه امتدَّ إلى عبادتهم للأصنام. فبيَّن لهم أن هذه الأحجار التي ينحتونها ويعبدونها ويلجأون إليها في الشدَّة بدلاً من أن يلتجئوا إلى خالقهم، لا تستطيع أن تلحق ضرراً بإنسان ولا أن تمنحه منفعة. وجديرٌ بهم بأن يلتجئوا إلى خالقهم ورازقهم الذي أوجدهم في هذه الأرض لعمارتها وتوحيده وشكره على ما أعطاهم من الرزق والخير. وأنه هو الذي يحيي ويميت، وإليه العودة بعد الموت ليعطي كل إنسان ما يستحقُّه. فإن كان موحِّداً لله شاكراً لأنعمه، فله جزاء ذلك، جنَّة الخلد التي فيها: ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وأما من جَحَدَ بنعم الله وأنكر وجود الخالق، فله جزاء ذلك، النار خالداً فيها.

وكان هود كلما دعاهم إلى الله سخروا منه ومن دعوته، ومع ذلك

كان شفوقاً بهم. فبيَّن لهم أن كل همِّه أن يعودوا إلى طريق الحقِّ. وذكَّرهم بأنه لا يطلب منهم أجراً أو جاهاً أو سلطاناً على ما يقوله لهم، إنما أجره على خالقه. قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51].

وحذَّر هود قومه بأن لا يعموا عن الحقِّ فيصيبهم ما أصاب قوم نوح من قبلهم الذين أبادهم الله، وأن أخبارهم ليست منهم ببعيدة.

ولكن هؤلاء المتكبِّرين، هل استمعوا لنبيِّهم؟

إنَّهم متكبِّرون مغرورون فكيف يستمعون للنصيحة؟

وبدلاً من أن يسمعوا لنبيِّهم ازدادوا سوءاً وإعراضاً وقالوا له: ما أنت إلا سفيه تحقِّر لنا ما نعبد، وما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ(1) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: 66-68].

إن قومه يقولون له: إنه سفيه عندما واجههم بالدعوة إلى الله بعد أن أمره الله بإشهارها. ولكن قبل ذلك كان مشهوراً بينهم بالحلم والعلم والرأي الصائب في كل شيء. ولكن عندما جاءهم بما لا يشتهون أصابهم الكبر، ولا يدرون بماذا يجيبون نبيَّهم ولم تعجبهم أقواله بأن بيَّن لهم أن أصنامهم التي يعبدونها لا تضرُّ ولا تنفع.

وكانوا يقولون: إن هذه الأصنام هي دين الآباء والأجداد، ونحن نتَّبعهم، وعندما نموت ليس هناك بعث ولا حياة أخرى ولن يكون هناك

(1) الملأ: الناس.

عذاب كما تدعي. و﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: 136-138].

وكانوا يردُّون عليه أيضاً: أَوَقد أتيتنا لنعود عن عبادة الأصنام التي عبدناها زمناً نحن وآباؤنا. وإن كنت صادقاً فهات لنا العذاب الذي تدَّعيه لنا. ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف: 22 - 23].

بعد ذلك بيَّن هود لقومه أن هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله، هم الذين أنشأوها بأن نحتوها من الصخر وغيره، وسمَّوها بأسماء اختاروها هم أو آباؤهم أو أجدادهم، وليس لها من سلطان، فكيف تكون لها العبادة. غير أنهم أصرُّوا على عبادتها ولم يعيروا نبيَّهم أي اهتمام.

هنا قال لهم هود: إن الله أوقع عليهم إثم شركهم وغضِبَ عليهم، وأن العذاب آتيهم من ربهم، وأمرهم بالانتظار، وقال لهم: بأنه سينتظر العذاب معهم. ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: 70 - 71].

ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ؛ بل إنهم قالوا له: بأنه سفيه، وحتى أن بعض أصنامهم التي يعبدونها قد مسَّته بشيء في عقله فأضرَّته، فأصبح يقول لقومه ما يقول.

هنا بيَّن هود لقومه أن هذه الأصنام لا تقوى على شيء، حتى أنها لا

تستطيع أن تدفع الضرَّ حتى عن نفسها، فكيف لها أن يكون لها تأثير على الإنسان، وبيَّن لقومه أن الله هو الآخذ بنواصي الناس وأنه هو الذي ينصر عبده عليهم، وأنه هو الذي أرسله إليهم. ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ[1] بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا[2] إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: 53-56].

بعد كل ما دار من الحوار بين هود وقومه، استجاب له عدد قليل من القوم فآمنوا به وبدعوته.

ولكن الكثرة الغالبة منهم لم تؤمن. فأراد الله أن يمنحهم فرصة بأن أصابهم القحط والجفاف ثلاث سنين فعطشت حقولهم ومات أكثر مواشيهم، فلعلّهم بهذه الشدَّة يعودوا إلى خالقهم يدعونه مخلصين، وينبذون عبادة الأصنام، ولعلهم يتفكَّرون بأنَّهم إن لم يؤمنوا بدعوة نبيِّهم، إنَّ الله قادر على إهلاكهم. وكان موضوع القحط بمثابة الإنذار الأخير لهم عسى أن يعودوا إلى رشدهم ويؤمنوا. ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 48].

هنا تمنَّى هود لقومه الهداية. كيف لا وهو الذي تميَّز بالحلم. ومن شدَّة حبه لله تمنَّى أن يشعر قومه بما يشعر به من حلاوة الإيمان، ولكنهم لم يكترثوا لدعوته.

---

(1) اعتراك: أصابك.

(2) الناصية: مقدمة الرأس.

غير أنه لم ييأس بل دعاهم إلى توحيد الله مرَّة تِلْوَ المرَّة، وقال لهم: إنَّ الله يريد الصلاح للعباد إذا ما تابوا إليه واستغفروه .

وبيّن لهم فوائد الاستغفار التي منها :

- أن الله يمطر لهم السماء بالماء الطيِّب لسقي الزرع والمواشي والعباد.

- وأن الله تبارك وتعالى يزيدهم أموالاً إلى أموالهم.

- وأن الله تبارك وتعالى يزيدهم أيضاً قوَّة إلى قوَّتهم .

وقال لهم: بأن يستمعوا إلى نصحه وأن لا يتكبَّروا عن دعوته كي لا يصيبهم عذاب من الله فيقضي عليهم.

وأخبرنا الباري عن ذلك الحوار، فقال جلّ من قائل: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52].

بعد كل ذلك كانوا يديرون ظهورهم لهذه الدعوة وكان هود يقول لهم: إنه قد أبلغهم ما أُمر به من ربِّه إليهم. وإن لم يهتمُّوا لما يدعوهم إليه، فإن الله سيهلكهم، ويأتي بقوم آخرين، وأنهم لا يضرُّونه شيئاً إن لم يؤمنوا؛ بل يكون الخسران المبين لهم بأن يخسروا ما أقاموه من مبانٍ ونعيم في الدنيا ولهم الخزي والعذاب الدائم في الآخرة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ[1]﴾ [هود: 57].

وبعد أن استنفد هود جميع المحاولات مع قومه قال لهم: إنه

(1) حفيظ: المراقب لأعمال الخَلْقِ.

يخاف عليهم من عذاب أليم يأتيهم من ربِّهم ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

فهل التفت القوم إلى دعوة نبيِّهم؟

بالطبع لا، بل تَحَدَّوْهُ وطلبوا استعجال العذاب الذي وعدهم إياه، واستكبروا عن سماع دعوة الحقِّ، وقالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70].

فاغترُّوا بقوَّتهم واستكبروا في الأرض بغير الحقِّ وسخروا من دعوة نبيهم التي أتتهم من عند الله، وتمادَوْا في طغيانهم فكان ذلك سبب إهلاكهم، لأن الله لا يحب كل متكبِّر جبار. ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: 15-16].

نزول العذاب:

بينما قوم عاد في غَيِّهم مستكبرين عن عبادة الله وعن دعوة رسوله أدركهم العذاب عبر سحاب أسود. وكانوا قد فرحوا حينما رأوا السحاب، لأن المطر سيأتيهم بعد قحط وجفاف استمرَّ ثلاث سنين. فقالوا لبعضهم: هذا سحاب ممطر سيأتي لنا بالخير.

ولكن السحاب كان يحمل لهم كل الويل والعذاب، وهو ما بشَّرهم به نبيُّهم هود إن لم يؤمنوا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا[1] مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: 24-25].

وكان قوم عاد قد تهيَّؤوا لنزول المطر وهيَّؤوا حقولهم لاستقباله. ولكن هود حينما رأى فرحتهم باستقبال هذا المطر وهم لا يزالون على تكبُّرهم وغَيِّهم، قال لهم: بأنَّ هذا السحاب فيه كل العذاب الذي كنتم به تستعجلون، وهو ليس سحاب رحمة؛ بل يحمل ريحاً فيه نقمة من الله، لتفنيكم عن آخركم.

ولم يصدِّقوا قوله حتى أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. وحينما رأوا قوة الريح تلتقط كل شيء فتحمله وتهوي به إلى الأرض خافوا وارتجفوا وذهبوا إلى بيوتهم لعلَّها تقيهم الريح العقيم التي أخبرهم عنها نبيُّهم.

ولكن هل تمكَّنوا من النجاة؟

بالطبع لا، فإنَّ الريح التي أرسلها الله عليهم كانت ريحاً باردة استمرَّت سبع ليال وثمانية أيام متَّصلة الهبوب كأنَّها يوم واحد. فاقتلعتهم من جذورهم مع مواشيهم ورحالهم وما يملكون، فلم تبق منهم أحداً، وأصبحوا كأنَّهم أعجاز نخل خاوية كما أخبرنا القرآن العظيم. ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6-8].

---

(1) العارض: السحاب الذي يحمل المطر.

أما هود فقد أنجاه الله مع من آمن معه بعد أن لجأ الجميع إلى حظيرة بسيطة حتى هدأت الريح. وبينما كانت هذه الريح عقيماً مهلكة للكافرين، كانت بالنسبة للمؤمنين ريحاً طيِّبة تلين جلودهم بقدرة الله ﷻ.

وبعد هلاك قوم عاد انتقل هود مع من آمن معه إلى منطقة حضرموت وبقي فيها بقية عمره حتى مات.

وفي رواية أخرى أنه انتقل مع المؤمنين إلى مكَّة.

ومنهم من قال: إنه اتَّجه مع المؤمنين بدعوته إلى نواحي فلسطين حتى توفَّاه الله.

ولعل الأقرب أنه بمنطقة حضرموت لقول الإمام عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه مدفون في كثيب أحمر هناك. والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: 58-60].

العِبَرُ من قصّة هود:

يؤخذ من قصّة هود عدّة عِبَرٍ منها:

1 - إن الحضارة التي تقوم على أسس غير صحيحة سريعٌ ما تبيد.

2 - يجب أن يتمتّع الدّاعي إلى الله بالقوّة البدنيّة والعقليّة، وأن يكون كيِّساً، فطناً، يحاور بالحكمة ويدفع الشُّبهة بالحجّة.

3 - قدرة الله مطلقة لا تُحدّ بحدود ولا تُقَيَّد بقيود. ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15].

4 - ليحذر الإنسان، فإنَّ انتقام الله من العصاة قد يأتي من حيث يظنُّون أنَّه لا يأتيهم، كقوم عاد حينما جاءهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 16].

5 - إنَّ الله ينصر من ينصره، ومن يفعل ذلك فله العزَّة عند الله في الدنيا والآخرة.

6 - إنَّ الاستغفار يمحو الذنوب للإنسان ويبارك له في قُوته ورزقه وولده.